نلسون مانديلا

تحول نلسن مانديلا خلال الأعوام السبعة والعشرين التي قضاها في سجون عنصريي جنوب أفريقيا، ثم بعد خروجه من السجن إلى رئاسة الجمهورية، تحول إلى بطل أصطوري لمواطني بلده من السود والملونين الذين يشكلون الأكثرية الساحقة من سكان جنوب أفريقيا. لكن الغريب في الكتب والكتابات التي تمحورت حول سيرة هذا البطل الأسطوري لم تعط لشركاء مانديلا في النضال الذي دام زمناً طويلاً، قبل دخوله إلى السجن وخلال وجوده في السجن على وجه الخصوص ثم بعد خروجه إلى موقع الرئاسة، لم تعطهم حقهم في الأدوار الأساسية التي قاموا بها بالشراكة معه والإنفراد عنه. وهؤلاء الذين عاصروه وقاموا خلال وجوده في السجن بمهمات كبيرة في السياسة وفي الكفاح المسلح، إنما يعود لهم فضل كبير عليه وعلى تحريره وتحرير جنوب أفريقيا من حكم السلطة العنصرية من البيض الذين جاءوا إلى البلاد من دول أروربية عديدة، وأقاموا حكمهم في صيغ مختلفة من العنصرية خلال ما يقرب من قرن ونصف القرن. أذكر من هؤلاء القادة الكبار خمسة أسماء كان لي شرف اللقاء بأربعة منهم في مناسبات مختلفة وهم: سيسولو نائب مانديلا في قيادة حزب المؤتمر الوطني وشريكه في السجن لفترة من الزمن، وأوليفر تامبو الأمين العام للحزب على امتداد حياته، وجون ماركس ويوسف دادو الأمينان العامان للحزب الشيوعي على التوالي. أما الزعيم الخامس فهو أمين عام الحزب..... الذي اغتيل في العام الأول لتحرير جنوب أفريقيا وخرج أكثر من مليون من المواطنين في جوهانسبورغ لوداعه إلى مثواه الأخير. وكالعادة في كل الثورات وفي كل الحركات السياسية والإجتماعية في التاريخ القديم وفي التاريخ الحديث يسرق البطل الرئيسي أدوار الآخرين، ويصبح هو الرمز الأول للوطن وللشعب وللقضية التي تقوم الثورات والحركات السياسية والإجتماعية انتصاراً لها. إلا أن مانديلا في سيرته الذاتية كان وفياً لرفاقه والتر سيولو وأوليفر تامبو اللذين خصهما بالتقدير والإحترام. ولم ينس أن يشيد بدور الأمين العام للحزب الشيوعي جون ماركس.

ومهما يكن من أمر فإن المستحيل الذي تحقق في جنوب أفريقيا بإنهاء الحكم العنصري واستعادة أصحاب الأرض والوطن حريتهم. وقد ارتبط باسم نلسون مانديلا، الذي رفعه شعبه بعد خروجه من السجن إلى سدة الرئاسة لأول جمهورية ديمقراطية في تاريخ هذا البلد الأفريقي العجيب الذي جعله العنصريون بلداً ينافس بتقدمه بلداناً متقدمة في العالم الرأسمالي، وذلك على حساب الأكثرية الساحقة من شعبه التي حولها أولئك الحكام إلى عبيد. وحين انتخب مانديلا رئيساً لبلاده كان عليه أن يخبر شعبه ويخبر العالم عن برنامجه الجديد في الظروف التاريخية الجديدة الناشئة. وهو ما عبر عنه في خطابه في الجمعية العامة للأمم المتحدة بصفته أول رئيس لجنوب أفريقيا الحرة. يقول منديلا في ذلك الخطاب:" لقد انطلقنا على طريق إعادة صنع بلادنا مستندين في ذلك إلى الدستور الديمقراطي الذي دخل حيز النفاذ في نيسان من هذا العام (1994) وإلى برنامج التعمير والتنمية الذي أصبح ملكاً لشعبنا بأجمعه. ومن الواضح أن هاتين الوثيقتين ما كانتا تتمتعان بالحياة لولا الحياة التي أعطاها الشعب لهما. إن الكلمات المطبوعة فيهما يجب أن توحي باشتراك شعبنا بأجمعه في ملكية ما تستهدفه هاتان الوثيقتان من مسيرة ونتائج وبولائه المشترك لهما. وكيما يحدث ذلك يجب علينا ونحن ننشر الرؤية التي تحتويها الوثيقتان أن ننخرط في الوقت نفسه في جهد تاريخي لإعادة تحديد أنفسنا بوصفنا أمة. يجب أن يكون شعارنا هو العدل والسلم والتصالح وبناء الأمة سعياً وراء إقامة بلد ديمقراطي غير عنصري وغير متحيز للجنس. ويتعين علينا أن نكفل في كل ما نفعله شفاء الجروح التي ابتلي بها شعبنا كله عبر الخط الفاصل الكبير الذي فرضته على مجتمعنا قرون من الإستعمار والفصل العنصري. يجب علينا أن نكفل أن يصبح اللون والعرق والجنس مجرد هبة منحها الله لكل فرد منا وليس علامة لا تمحى أو خاصية تمنح مركزاً خاصاً لأي منا. يجب علينا أن نعمل من أجل ذلك اليوم الذي نرى فيه نحن أبناء جنوب أفريقيا بعضنا بعضاً ونتفاعل بعضنا مع بعض بوصفنا بشراً متساوين وجزءاً من أمة واحدة موحدة وليس كإرب ممزقة بفعل اختلافها.

إن الطريق الذي يتعين علينا أن نقطعه للوصول إلى هذا المصير لن يكون هيناً بأي حال من الأحوال. وكلنا يعلم كيف تستطيع العنصرية أن تعلق في الأذهان بعناد وبأي قدر من العمق يمكن لها أن تصيب الروح البشرية، ويمكن لهذا العناد حينما يؤازره الترتيب العنصري للعالم المادي، كما هو الحال في بلادنا، أن يتضاعف مئات المرات. بيد أنه مهما تكن مشقة هذه المعركة فإننا لن نستسلم. ومهما استغرقت من وقت فإننا لن نلك. إن مجرد كون العنصرية تزري بكل من المذنب والضحية يقتضي منا إذا ما كنا صادقين في التزامنا بحماية الكرامة البشرية أن نقاتل حتى يتحقق النصر. إننا نؤمن إيماناً راسخاً بأننا نحن الذين نملك خبرة خاصة بما للعنصرية من قوة تدميرية ومعادية للبشرية ندين لأنفسنا بأن نركز تحولنا على خلق مجتمع غير عنصري حقاً، ولأننا نعرف العنصرية بشكل وثيق جداً فلا بد من أن نأمل في النجاح من استحداث عكسها وتعهده بالرعاية. وربما نقوم نحن الذين آوينا في بلدنا أسوأ مثل على العنصرية منذ هزيمة النازية بالإسهام في الحضارة الإنسانية وذلك بتنظيم أمورنا على نحو يوجه ضربة فعالة ودائمة ضد العنصرية في كل مكان. إن بعض الخطوات التي اتخذناها بالفعل، بما فيها إقامة حكومة وحدة وطنية والتحول المنتظم لمؤسسات الدولة وتحقيق توافق آراء وطني حول قضايا العصر الرئيسية، هي التي وضعتنا على الطريق الصحيح بالنسبة لمواصلة العمليات التي تؤدي إلى إقامة المجتمع العادل الذي نتكلم عنه. إن تحررنا السياسي قد جعلنا أيضاً نركز على نحو كبير على الحاجة الملحة إلى الدخول في نضال لضمان تحرير شعبنا من العوز ومن الجوع ومن الجهل. وقد كتبنا على راياتنا إن المجتمع الذي نسعى إلى إنشائه يجب أن يكون مجتمعاً يدور حول الشعب. ويجب أن تكرس كل مؤسساته وموارده لتحقيق حياة أفضل لجميع مواطنينا. وهذه الحياة الأفضل يجب أن تعني نهاية الفقر والبطالة والتشرد واليأس الذي يتأتى من الحرمان. وهذه غاية في حد ذاتها لأن سعادة الإنسان في أي مجتمع يجب أن تكون غاية في حد ذاتها. وفي الوقت نفسه نعي وعياً قوياً أن استقرار التسوية الديمقراطية ذاتها وإمكانية

الإقامة الفعلية لمجتمع غير عرقي وغير متحيز للجنس يتوقفان على قدرتنا على تغيير الظروف المادية لحياة شعبنا حتى يتوافر لديه ليس حق التصويت فقط لكن الخبز والعمل أيضاً. لذا نتجه إلى الأمم المتحدة لإعلان التزامنا بأننا كما تعهدنا بألا نرتاح حتى يدحر الفصل العنصري نتعهد الآن أيضاً بأننا لا يمكن أن نرتاح بينما يعاني الملايين من شعبنا ألم الفقر وهوانه في كل أشكاله".

لكن المتابع لسيرة مانديلا كما كتبها هو بصدق وعفوية وكبرياء يدرك جيداً أنه إنما جاء إلى إلى موقعه التاريخي بالتدريج عندما انتقل في مطلع شبابه للعمل في صفوف المؤتمر الوطني الأفريقي الذي كان قد تأسس في عام 1910. ورغم أنه كان في الفترة الأولى من انخراطه في العمل السياسي معاد للشيوعية، إلا أنه لم يتأخر في إقامة علاقات صداقة مع الشيوعيين والبدء بقراءة الأعمال الكاملة لماركس وإنجلز. ومعروف أن الحزب الشيوعي كان قد تأسس في عام 1921. وكان يضم في صفوفه وحتى في قيادته شيوعيين من البيض انطلاقاً من اقتناعه المبدئي بأن النضال ضد الفصل العنصري الذي كان ضحيته السود والملونين الهنود هو عمل مخالف للمبادئ الإنسانية، وأن الديمقراطيين البيض معنيون بالنضال ضد ذلك المرض السرطاني الذي يحمل اسم الفصل العنصري في كل أشكاله وصوره. ومعروف أن "الأبارتايد" إنما يقوم على فكرة جوهرها أن الرجل الأبيض يسمو على الرجل الأسود والملون، وأن الرجل الأبيض سيد بكل المعاني بما في ذلك بالقهر والعنف وبكل الوسائل التي تحتقر إنسانية الإنسان.

وأصدر العنصريون قوانين عديدة تمنحهم كل الحقوق في استعباد الأفارقة من السود ومن الملونين الذين كانت غالبيتهم من الهنود والباكستانيين.

ولد مانديلا في عام 1918. وكان والده حفيداً لملك شعب ثيمومبو الذي توفي في عام 1832.

ولد الطفل روليهلاهلا الذي حمل اسم مانديلا في 18 تموز 1918 في قرية مفيزوا. وهي قرية صغيرة في إقليم الترانسكي. ويروي مانديلا في سيرته الذاتية أن سنة مولده "قد وافقت نهاية الحرب العالمية الأولى وانتشار وباء الانفلونزا في العالم وزيارة وفد من المؤتمر الوطني الأفريقي إلى قصر فرساي في باريس لكي يعبروا عن معاناة الأفارقة في جنوب أفريقيا".

ورث مانديلا عن والده هندري صفات كثيرة من بينها العناد والتمرد والإصرار على العدالة. وفي ذلك يروي مانديلا نفسه "كان والدي متمرداً وعنيداً ذا إصرار على العدالة وإحساس بها. وقد ورثت ذلك عنه. فقد كان عليه كرئيس في مفيزوا أن يقدم تقريراً عن عمله لملك الثيمبو وللقاضي الأبيض. وذات يوم قدم أجد رعايا والدي شكوى ضده بسبب ثور كان قد شرد من صاحبه. وأرسل القاضي إلى والدي يأمره بالمثول أمامه. لكن والدي رد عليه بأنه لن يحضر إلا حين يكون مستعداً للحضور".

وفي تلك الأيام لم يكن لفرد أن يعصي أمراً لممثل حكومة البيض. لكن رد والدي كان يعبر عن عقيدته بأن ليس لقاضي الحكومة سلطة قانونية عليه لأنه لم يكن يستعين بالقوانين الإنكليزية في تصريف شؤون القبيلة. ولم يكن ذلك التحدي نوبة غضب. لكنه كان مسألة مبدأ. وحينما تلقى القاضي رد والدي اتهمه فوراً بالعصيان وقام بعزله ببساطة. وأنهى بذلك رئاسة عائلة مانديلاً وفقد والدي الذي كان من النبلاء بمقاييس ذلك الزمن ثروته ولقبه". ونتيجة لتعسر ظروف أسرة مانديلا رحل مع أمه إلى قونو وهي قرية أكبر قليلاً إلى الشمال من مفيزوا، حيث حظيت الأسرة بدعم الأقارب والأصدقاء. وفي تلك القرية قضى مانديلا أيام صباه الأولى.

.....في أول يوم له في المدرسة نال الصبي روليهلاهلا اسماً جديداً. وفي ذلك يروي مانديلا:"وفي أول يوم لي في المدرسة أعطت المدرسة كل واحد منا اسماً انكليزياً وآخر أفريقياً. فلم يكن البيض يريدون أو يستطيعون نطق الأسماء الأفريقية. وكانوا يعتبرون حمل اسم وطني تخلفاً. وقالت لي المدرسة في ذلك اليوم أن اسمي الجديد هو نلسون". وعندما توفي والد مانديلا وهو في التاسعة من عمره نتيجة إصابته بداء في الرئتين أخذت الأم ابنها في رحلة طويلة من قونو إلى "المكان العظيم" مفهيكزويني، حيث عرض الرئيس جوجينتابا، الوصي على عرش شعب الثيمبو أن يتبنى مانديلا وأن يعامله معاملة أبنائه، وأن يحصل على نفس مزاياهم. وصار الوصي جوجينتابا بمثابة الأب الجديد لمانديلا. وصار ابنه جستس الأكبر من مانديلا بأربع سنوات المثال الذي يقتدي به لعقد من الزمن.

حين بلغ مانديلا الثامنة عشرة من عمره في العام 1937 التحق بمدرسة هيلد تاون في فورت بوفورت التي كانت في القرن التاسع عشر إحدى نقاط الحدود الأمامية البريطانية. فيما كان يسمى بحرب الحدود التي تمت فيها هجمات المستوطنين البيض تنتزع الأراضي من قبائل الأكسهوسا. ولدى وصول مانديلا إلى بوفورت كانت قد تحولت إلى مدينة للبيض.....

وخلال فترة الدراسة التي استمرت ثلاث سنوات تقوضت داخل مانديلا النزعة القبلية المنغلقة "بدأت أحس بذاتي كأفريقي".....

وفي العام 1939 التحق مانديلا بكلية فورت هير الجامعية الواقعة في إقليم أليس. إذ كانت المكان الوحيد للدراسة الجامعية المنتظمة للسود. ورغم أن المدارس والمعاهدالتي درس فيها قد انتقدت كثيراً لكونها استعمارية في اتجاهاتها وممارساتها، إلا أن مانديلا كان يعتقد دائماً أن فائدتها كانت تفوق ضررها.

كان وولتر سيسولو بوابة مانديلا غلى عالم السياسة. فبعد عدة أسابيع أخبره ابن عمه أنه سيصطحبه لمقابلة أحد أفضل الناس في جوهانسبرج. وذهب به إلى مكتب للعقارات يملكه شاب أفريقي "تنم ملامحه عن الذكاء والطيبة يتحدث الإنكليزية بلكنة المدينة ويبدو عليه الإنشغال والنجاح اسمه وولتر سيسولو. وحين أخبرته برغبتي في العمل بالقانون وعن عزمي التسجيل في الجامعةت أخبرني عن محام أبيض يدعى لازار سيدلسكي قائلاً إنه شخص تقدمي يهتم بتعليم الأفارقة.

كانت البداية في منزل وولتر سيسولو الذي تولى توعيته وتعليمه. كان ذلك المنزل ملتقى أعضاء المؤتمر ال الوطني الأفريقي.

وفي عام 1947 انتخب مانديلا عضواً في اللجنة المركزية للمؤتمر الوطني الافريقي عن إقليم الترانسفال.

تعد الفترة في ما بين 1953 و1963 من أخصب فترات النضال ضد سياسة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا. فخلالها تشكلت الملامح الرئيسية لأفكار مانديلا عن كيفية التحرر الوطني التي ارتكزت على عدة استراتيجيات محورية أهمها التعبير عن قضايا الجماهير والدفاع عنها واعتناق الكفاح المسلح كخيار وحيد للقضاء على سياسة التفرقة العنصرية وناء وطن واحد تسوده المساواة بين البشر في الحقوق والواجبات بغض النظر عن اللون أو العرق أو الجنس.

في مطلع عام 1953 كان هناك اقتناع عام داخل المؤتمر بأن الحكومة تنوي إصدار قانون يحظر المؤتمر الوطني الأفريقي والمجلس الهندي كما فعلت في الحزب الشيوعي. وقد وافق المؤتمر على خطة الطوارئ التي اقترحها مانديلا لمواجهة هذا الإحتمال. وكانت خطة مانديلا تقوم على تمكين المؤتمر من العمل كمنظمة سرية وترتكز على إقامة آلية تنظيمية تسمح للمؤتمر أن يتخذ قرارات من أعلى مستوى ونقلها إلى المنظمة ككل دون عقد اجتماعات.

وصممت الخطة على أساس تمكين المنظمة من تجنيد أعضاء جدد وأن تستجيب للمشكلات الإقليمية والقومية وأن تواصل اتصالاتها بانتظام بين الأعضاء والقيادات السرية.

في الخامس من كانون الأول 1959 قامت الشرطة العنصرية بالقبض على مانديلا بتهمة الخيانة العظمى والتآمر لإسقاط الحكومة وإحلال حكومة شيوعية محلها

ورغم أن المحكمة العليا كانت قد أصدرت في 29 آذار 1961 حكمها في قضية الخيانة العظمى ببراءة جميع المتهمين والإفراج عنهم قرر مانديلا أن ينتقل إلى المرحلة الثانية من نضاله بالعمل السري والكفاح المسلح ضد النظام العنصري.

في 26 حزيران 1961 أعلن مانديلا في بيانه الشهير بعنوان "النضال حياتي" أنه يجب على المؤتمر الوطني أن ينتقل من الآن إلى المرحلة الثانية من النضال بالعمل السري والكفاح ضد النظام العنصري وتحقيق دعوة الميثاق الوطني لتعبئة الجماهير من أجل دولة الشعب كل الشعب ومن أجل الشعب. طلب مانديلا في بيانه من الجماهير عدم التعاون مع النظام العنصري فلا بد أن نجعل مهمة هذه الحكومة مستحيلة. فهي تحرمنا من حقوقنا السياسية الوقت تجبي منا الضرائب. لن ندفع إلا بعد أن نتساوى معهم في حق الإنتخاب وحق الترشيح للبرلمان".

اعتقل مانديلا في أواخر ستينات القرن. وبدأت المفاوضات الجادة معه في عام 1985 وهو في السجن في عهد رئيس الحكومة بيتر بوتا. لكنها لم تكلل بالنجاح إلا بقدوم فريدريك دي كليرك أواخر عام 1989. ففي 21 كانون الثاني 1985 أعلن بيتر بوثا أن حكومته على استعداد لإطلاق سراح مانديلا بشرط أن يعلن دون أي شروط أنه يعارض العنف كوسيلة سياسية. وبعد أسبوع من هذا التصريح جاذ رد مانديلا في خطاب قرأته ابنته زيندزي أمام جمهور غفير من الأفارقة قال فيه: "إنني عضو في المؤتمر الوطني وسأظل عضواً فيه إلى

وفاتي، وأن أوليفر تامبو رئيس المؤتمر أكثر من شقيق لي. وأعلم أنه من الممكن أن يضحي بحياته ليراني حراً". وأضاف "أن الشروط التي تريد الحكومة فرضها تسبب لي الدهشة لأننا لم نسلك طريق العنف إلا بعد أن سدت جميع طرق المقاومة وأن على بوتا أن يبرهن أنه مختلف عمن سبقوه ويترك العنف ويلغي الأبرتايد ويطلق سراح السجناء والمنفيين ويضمن حرية النشاط الساسي ليتمكن الشعب من تقرير من يحكمه". ورفض مانديلا الإفراح عنه إلا بعد تحقق الشروط السابقة قائلاً "فماذا تعني تلك الحرية بينما تحظر المنظمة التي أنتمي إليها، أو بينما يلقى القبض عليّ لعدم حمل تصريحاً للمرور أو بينما زوجتي منفية. أن الأحرار هم الذي يستطيعون التفاوض ولا يمكن للسجناء الدخول في اتفاقات". وفي أعقاب هذا الرد عمت سلسلة من الإضرابات أنحاء الدولة خلفت وراءها أكثر من خمسة آلاف قتيل. وأدركت الحكومة أن سياسة الكبت والفصل العنصري لم تعد تجدي. فبدأت في تخفيف قبضتها الأمنية الحديدية وأصدرت في نيسان 1985 قراراً بإلغاء قواني حظر الزواج والعلاقات بين المجموعات العرقية المختلفة. كما ألغت في عام 1986 قوانين المرور. وأفرجت عن السجناء بمقتضى هذا القانون وتوالت القرارات التي تستهدف تخفيف حدة سياسات التفرقة العنصرية بإلغاء قانون قصر بعض الوظائف على البيض في عام 1987، وكفالة حق

الإضراب للعمال السود. لكن كل هذه الإجراءات لم تخفف من حدة المواجهات والإضرابات وخاصة من جانب اتحادات العمال السود والهنود والملونين الذين رفعوا شعار "حقوق متساوية لجميع الأعراق".

وفي عام 1989 تولى فريدريك دي كليرك رئاسة الحكونة وأخذت المفاوضات مع مانديلا تأخذ معناها الحقيقي. وفي تشرين الأول من عام 1989 بدأ التخطيط لإطلاق سراح رفاق مانديلا الثمانية ومن بينهم وولتر سيسولو الذين سجنوا مع مانديلا في قضية ريفونيا. وخلال

الشهور المتبقية من عام 1989 ركز مانديلا على شروط حزب المؤتمر الوطني للتفاوض مع حكومة جنوب أفريقيا وأعلن أنه لا يريد أن يترك السجن خالي الوفاض وإلا فإنه سوف يخطر زعماء حزبه بأن ثلاثين عاماً قد ضاعت هباء. وفي الثاني من شباط 1990 أعلن دي كليرك في خطاب ألقاه أمام الدورة البرلمانية الجديدة عن عدد من القرارات التاريخية ومن أهمها رفع الحظر نهائياً عن نشاط المؤتمر الوطني الأفريقي ومنظمة عموم أفريقيا والحزب الشيوعي و33 منظمة وحزباً سياسياً معارضين للفصل العنصري. كما أعلن عن إيقاف العمل بقانون مصادرة الصحف وحملات مداهمة المدارس والجامعات. وفي مؤتمر صحفي يوم 11 شباط 1990 أعلن دي كليرك عن إطلاق سراح مانديلا وقال "إن إطلاق سراح مانديلا سوف ينهي الفصل الطويل من الصراع". وطالب كل الأطراف بأن تثبت أنها قادرة على السير في الإتجاه السلمي لبناء جنوب أفريقيا جديدة.

وفي كانون الأول 1991 بدأت المفاوضات الفعلية في جوهانسبرج وعقد مؤتمر من أجل جنوب أفريقيا ديمقراطية "كوديسا" أول اجتماع للمفاوضات الرسمية بين المؤتمر الوطني والحكومة وأحزاب جنوب أفريقيا المناهضة لسياسة التفرقة العنصرية. وكان المؤتمر يضم 18 وفداً يمثلون جميع الإتجاهات السياسية في البلاد باستثناء منظمة عموم أفريقيا التي قاطعت المؤتمر متهمة الحزب الوطني الحاكم والمؤتمر الوطني بالتآمر لإقامة حكومة متعددة الأعراق. وكذلك قاطع حزب أنكاثا المؤتمر بالإضافة إلى حزب المحافظين الذي اعترض على مشاركة الحزب الشيوعي والمؤتمر الوطني.

تجددت المفاوضات مرة ثانية في أيلول 1992 بين كليرك ومانديلا في قمة رسمية. وتم التوصل إلى اتفاق فتح الطريق المسدود الذي وصلت إليه كوديسا. حيث وافقت الحكومة على المطالب الدستورية. كما تم الإتفاق على تشكيل حكومة وحدة وطنية مدتها خمس سنوات

تشترك فيها الأحزاب التي تحصل على أكثر من 5 % من الأصوات بنسبة تمثيل في مجلس الوزراء، وبعد السنوات الخمس تصبح الحكومة حكومة أغلبية عادية. وفي شباط 1993 أعلن المؤتمر والحكومة اتفاقهما على مبدأ الحكومة الوطنية وعلى مجلس وزراء متعدد الأحزاب، وعلى إيجاد مجلس تنفيذي وعلى إجراء أول انتخابات لاعنصرية قائمة على أساس صوت لكل فرد في نيسان 1994.

وفي أيار 1994 أقسم مانديلا رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي اليمين الدستورية كأول رئيس لجنوب أفريقيا الجديدة ليبدأ عهد جديد من الحرية.

لقد أتيح لي أن أتابع باهتمام نضال شعب جنوب أفريقيا ضد الأبارتايد بدءاً من خمسينات القرن الماضي من خلال وجودي في منظمتين عالميتين هما اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي ومجلس السلم العالمي، ومن خلال مشاركتي في العديد من المؤتمرات والندوات العالمية. وأقمت علاقة صداقة حميمة مع عدد من قادة المؤتمر الوطني الأفريقي ومن قادة الحزب الشيوعي من السود والهنود والبيض، وفي مقدمة هؤلاء الأمينان العامان للحزب الشيوعي بالتوالي جون ماركس ويوسف دادو، الهندي الأصول من تلامذة المهاتما غاندي. أما العلاقة مع أوليفر طامبو فكانت على الدوام ذات طابع رسمي. وكان واضحاً بالنسبة إليّ ذلك التعاطف الكبير في مختلف الأوساط مع الكفاح البطولي الصعب مع هذا الشعب المكافح الشجاع.

وحين ذهبت إلى جوهانسبورغ صيف عام 1994 لأهنئ باسم الحزب الشيوعي اللبناني قادة جنوب أفريقيا الجدد بانتصارهم، التقيت كلاً من والتر سيسولو، أحد رفاق مانديلا الأوائل ونائب رئيس حزب المؤتمر الوطني، وتابو مبيكي نائب رئيس الجمهورية والأمين العام الجديد للحزب الشيوعي الذي خلف الأمين العام الذي اغتيل في الفترة التي كان الشعب الأسود يحتفل بانتصاره التاريخي. يومها قادني سيسولو إلى مكتب مانديلا في مقر حزب المؤتمر ليعرفني إليه

فوجدناه قد سافر قبل ساعات إلى موزامبيق لملاقاة عشيقته التي صارت زوجته الثالثة. وحدثني سيسوليو مطولاً عن تاريخه وتاريخ مانديلا وتاريخ حزبهم وتاريخ نضالهم الطويل الشاق. وذكرني باللقاء الذي جرى في بوخارست خلال المهرجان العالمي للشباب والطلاب (1935) بين وفد المؤتمر الوطني بقيادته وبين وفد الشبيبة اللبنانية لتبادل التضامن بين شعبينا. أما تامو مبيكي فقد حدثني على امتداد ساعتين عن المصاعب التي كانت قد بدأت تواجه السلطة الوطنية في كيفية تطبيق برنامجها السياسي والإقتصادي والإجتماعي وفي موضوع المصالحة التاريخية التي أعلنها مانديلا في نهاية المفاوضات التي قادت إلى نقل السلطة للسود بمشاركة آخر رئيس أبيض دي كليرك. وحدثني الأمين العام الأمين العام للحزب الشيوعي عن تاريخ طويل من العلاقة التي قامت بين حزبهم وحزب المؤتمر الوطني، والتي على أساسها ومنذ البدايات أرسل الحزب الشيوعي إلى مواقع قيادية في المؤتمر الوطني عدداً من كوادره المجربة. وكان نائب الرئيس مبيكي ذاته الذي صار رئيس البلاد بعد تخلي مانديلا عن منصبه واحداً من هؤلاء.

صحيح أن مانديلا لم يكن البطل الوحيد في قيادة شعب جنوب أفريقيا في كفاحه المتعددة وسائله وصيغه وأدواته، إلا أنه أصبح بالتدريج الرمز الأكبر لكفاح هذا الشعب. وأثبت مقدرة كبيرة في العمل المسؤول في الشفافية والمصداقية خلال رئاسته لدولة جنوب أفريقيا، ثم في تخليه طوعاً عن السلطة لممارسة الأعوام الأخيرة من حياه متحرراً من أعباء المسؤولية.